الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

fondements philosophiques et sociologiques pour pédagogie l'approche par les compétences

د.بوبكر جيلالي/ جامعة حسيبة بن بو علي / الشلف

الملخص:

تعالج المقالة أسس إسترتيجية المقاربة بالكفاءات في التربية والتعليم والتكوين من الجانبين الفلسفي والاجتماعي، أكّد المدخل أنّ أسلوب المقاربة بالكفاءات مظهر من مظاهر التطور الحاصل في عصرنا، وأوضح أسباب هذا التطور.

جاء العنصر الأول يقارن بين التربية القديمة والتربية الحديثة بشكل عام، أما العنصر الثاني فهو موازنة بين المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات، أما العنصر الثالث وقف على الأسس الفلسفية والاجتماعية للمقاربة بالكفاءات وهي: الأساس البراغماتي والأساس الوجودي والأساس الواقعي والأساس العلمي التكنولوجي والأساس الديمقراطي والأساس اللّيبرالي الاقتصادي وأساس العولمة.

Résumé

Cet article traite des fondements de la stratégie de l'approche par les compétences dans le domaine de l'éducation, de l'enseignement et de la formation du point de vue philosophique et sociologique. Il a été montré que cette approche est un aspect du développement moderne. Aussi, s'est il agi de comparer entre l'éducation classique et l'éducation moderne et entre l'approche par les objectifs l'approche par les compétences. Enfin, nous avons dégagé les fondements philosophiques et sociologiques de cette dernière qui sont le pragmatisme, l'existentialisme, le réalisme, la science, la technologie, la démocratie, le libéralisme et la mondialisation.

خطة البحث:

- مدخل

1-التربية القديمة و التربية الحديثة

2-المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات

3-المقاربة بالكفاءات و أسسها الفلسفية والاجتماعية:

أ- الأساس البراغماتي

ب- الأساس الوجودي

ج- الأساس الواقعي

د- الأساس العلمي والتكنولوجي

هـ- الأساس الديمقراطي

و- الأساس الليبرالي الاقتصادي

ي- أساس العولمة

خاتمة

-الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

مقدمة:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة نظمه التربوية والتعليمية المسئولة عن إعداد الفرد وتكوينه وتعليمه وفق ما يضمن بقاء المجتمع واستمراره وتطوره.

لكل منظومة تربوية فلسفة ترتكز عليها وتستند إلى مبادئها، تمثل هذه الفلسفة كافة القيّم والاتجاهات والمبادئ والأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية السائدة في المجتمع، هي التي تحدد نمط شخصية الفرد المرغوب فيه بفعل التربية والتعليم، وتعكس ذات المجتمع وآماله وتطلّعاته.

فلسفة بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات جزء من فلسفة التربية والتعليم في عصرنا، فلسفة انبثقت من التطور الذي شهده ولازال يشهده العالم المعاصر في جميع جوانب الحياة ، فكريا وعلميا وتكنولوجيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفي وسائل الإعلام والاتصال والإشهار، وتعكس التطور الحاصل بشكل أكبر وأوسع في مجال وسائل وأساليب العمل والتحكم في الطبيعة والسيطرة عليها، ثم تعدّاها إلى حياة الإنسان، ونتاج ذلك فلسفة التربية وبيداغوجيات التعليم ومقارباته.

التطور الحاصل في الميدان التربوي والتعليمي مردّه إلى التغيّر الكبير الذي عرفته فلسفة التربية القديمة، وظهور أسس فلسفية جديدة تأسست عليها التربية وقام عليها التعليم، فكان أن أعرض الإنسان عن أسس وطرق وطبيعة وأهداف التربية والتعليم الكلاسيكية، وأقبل على التربية الجديدة بمقولاتها ومقوماتها ومناهجها وغاياتها التي تعكس التطور الهائل في جميع ميادين الحياة، الحياة التي صارت تتميز بطابعها العلمي المادي التجريبي فكريا وثقافيا، وبالخاصية الديمقراطية والحرية في تنظيم حياة الأفراد والجماعات، وبهيمنة العولمة على كافة شعوب العالم لتعميم نموذج تربوي وتعليمي واحد.

1-التربية القديمة والتربية الحديثة

المؤكد أن التربية والتعليم ضرورتان إنسانيتان لا تقوم الحياة إلا بهما، فنمط العيش والعلوم والمعارف والأفكار والعقائد والعادات والفنون والخبرات وسائر الأعمال لا تُكتسب إلا بهما، يقول تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ظلال مبين".1

تقوم التربية القديمة على ثلاثة أسس رئيسية، نمت بفعل تأثير العديد من الاتجاهات والنظم الدينية والعقلية والوجدانية والاجتماعية، وكذلك النفسية والفلسفية في حياة الإنسان التعليمية والتربوية والاجتماعية عامة.

أولها: أنّ كل ما يُحدثه الإنسان وما يقع له في حياته عامة قدر مكتوب وقضاء محتوم، وواجب الإذعان لأحكام القدر.

ثانيها: الطفل بطبعه شرير، ولا يُستأصل الشر من الطفل إلاّ بمراقبة الوالدين المستمرة له ومعاقبته.

ثالثها: لكل إنسان في حياته حدود لا يتجاوزها، عليه بالبقاء في مكانه، والطفل إذا حاول الخروج من دائرته يقابل بالإرهاب والعقاب والعنف.

ترتبت عن الأسس الثلاثة التي تبنّتها التربية وتبناها التعليم في القديم أساليب وأهداف جعلت الطفل رجلا صغيرا يقلد الكبار في كل شيء، يقبل كلّ شيء يتلقاه بعيدا عن أي دور له في تنمية قدراته وفي بناء شخصيته وفي تعاطيه مع مجتمعه.

أما القواعد الهامة في التربية الحديثة والمعاصرة تعبر عن أهداف وغايات ومرامي من شأنها تجعل الطفل ونموه "حصيلة عوامل وراثية وبيولوجية متفاعلة مع عوامل بيئوية واجتماعية".2 والمتعلم هو محور الفعل التربوي التكويني، والشريك الأساسي في العملية التعليمية التعلمية. وأهم هذه القواعد ما يلي:

* التعلّم عند الطفل يكون عن طريق النشاط النابع من قوى الدوافع الغريزية، لذا على المربي أو المعلم إفساح المجال للمتعلم (الطفل) بما يتفق مع هذه الميول والدوافع.

* في الطفل مواهب كامنة وعناصر وطاقات، على المربي والمعلم إيقاظها، بوضعه أمام مشكلات معقدة وغامضة جذّابة مشوقة ليقوم بحلّها، ومساعدته لاكتشاف مواهبه بنفسه بعيدا عن الاتباع والتقليد.

* مراعاة الفروق الفردية في الفعل التربوي التكويني بصفة عامة وفي الفعل التعليمي التعلمي بصفة خاصة.

* الحرص على تنمية قدرات الطفل إلى أبعد الحدود، في إطار ظروف اجتماعية تسمح لطرق التدريس ومقارباته بمسايرة هذه الميزة الاجتماعية.

* الارتكاز على مقاييس علمية عملية في التربية والتعليم والتكوين والتدريب والتوجيه، تكون من إنتاج الدراسات في علم النفس وعلوم التربية وفي علوم أخرى عرفت تطورا كبيرا.

* الرؤية الكلاسيكية للتربية والتعليم والتكوين والتنشئة لم ترى المتعلم أو الطفل وحدة وكلا الأمر انتبهت إليه فلسفة التربية الحديث، "فالتربية لا تتناول ناحية معينة من شخصية الفرد بل تتوجه إلى الشخصية بكاملها، بما تنطري عليه من جسد وعقل وعاطفة وروح، فتعمل على تمكين هذه الشخصية من النمو بانتظام وبانسجام، هذا النمو المنسجم هو ما تهدف إليه عملية التربية إذا فُهمت على وجهها الصحيح".3

* استناد المناهج التربوية وطرق التدريس واستراتيجيات التعلم إلى فلسفات ونظم فكرية واجتماعية حديثة ومعاصرة، تختلف عن الأسس الفلسفية والنظم الاجتماعية التي تأسست عليها التربية الكلاسيكية، ومن هذه الفلسفات، الفلسفة البراغماتية، والفلسفة الوجودية، ومن النظم الاجتماعية النظام الليبرالي السياسي والنظام الاقتصادي الحر، والطابع العلمي والتكنولوجي للمعرفة وعالميتها.

2-المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات

* لقد غيّرت التربية مجراها، وغيّر التعليم سبيله في العصر الحديث من استخدام بيداغوجيا التعليم بالأهداف إلى استعمال بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، وذلك لأسباب عديدة ذكرت من قبل، وكان ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1968م، وبعد هذه السنة عرفت حركة الإصلاح التربوي والتعليمي المبنية على الكفاءات في الولايات المتحدة الأمريكية وفي غيرها من البلدان نهضة كبيرة وتطورا ملحوظا أفضى في النهاية إلى العناية البالغة بالكفاءات، والاهتمام بكل ما يتعلق بخدمة الكفاءة في التربية والتعليم، لضمان الغايات الكبرى للتربية، المعلن عنها في النصوص الرسمية أو غير المعلن عنها.

* إنّ بيداغوجيا التكوين بالأهداف تركز بالدرجة الأولى على المعارف دون غيرها، ومقاصد التعلم في غاية الدقة والوضوح، والتعلم مجزأ ومبعض، والأهداف منفصلة وليست مندمجة، والتكوين المتأثر بالسيكولوجية المعرفية والتابع لما تقتضيه حاجة المتكوّن إلى إعمال القدرة على تثبيت المعرفة وحفظها بأقصى ما يمكن فعل التثبيت ووظيفة الحفظ، وما تتطلبه الحاجة إلى التذكر والاسترجاع بدرجة أكبر وأوسع مثلما حال وظيفة الحفظ فإنه يعتمد في نموه وتطوره على التمارين والتدريبات النظرية، يتم فيه إدراك النتائج بسرعة وبسهولة، يندفع التكوين إلى النشاط والفاعلية بحوافز خارجية ويرتكز أساسا على تعلمات واضحة تساعد على إنجاز الفعل، كما تظهر في هذا النوع من التكوين أهمية التعليم التلقيني والميل إلى التحليل وحجم النقد والتقييم فيه قليل، وتكون عملية القياس موضوعية، ويحدث في كثير من الأحيان شق بين عمليات التعليم وعمليات التقييم لأن الأهداف محددة سلفا طابعها تلقيني معرفي نظري ناقصة من حيث الحرية والعملية والبراغماتية والنسبية، خاصة وأنّ

عملية التقييم تحدث أحيانا بصياغة أسئلة وأحيانا عن طريق المشروع، ويكون التقييم معياريا يقارن بين التلاميذ ويميل إلى النوعية أكثر من غيرها، والمحتوى فيه يغطي المادة، والنتائج تعرف بدلالة الأهداف.

* أما بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات فتركز أصلا على المعارف الفعلية، ومقاصد التعلمات فيها تكون شاملة وأقل وضوحا مما هي عليه في مقاربة التكوين بالمحتويات أو في مقاربة التكوين بالأهداف، والتكوين يكون دوما ذا طابع اندماجي–التكوين المندمج– بحيث تندمج فيه المعارف مع القدرات والمهارات وغيرها مما له صلة بالعملية التعليمية–التعلمية، ويكون متأثرا بالسيكولوجية السلوكية أكثر من غيرها ثم تأثره بالسيكولوجية المعرفية، يعتمد في نموّه وتطوره على الأنشطة التطبيقية لا على الأنشطة النظرية، يأخذ في الاعتبار صعوبة تحقيق النتيجة لأنها تتصف بالشمولية وقلة الوضوح، يندفع التكوين بحوافز داخلية وليست خارجية ويرتكز على تعلمات عامة تعين على المبادرة التي تُظهر تدخل المعارف والقدرات والمهارات وغيرها مندمجة لا مفككة ولا مجزأة، ويظهر فيه دور التعليم ذي العناصر المتبادلة التأثير، كما يرتكز على أنشطة التعلم التطبيقي والتقييم التكويني ويميل إلى الشمولية، ويكون حجم التقييم التكويني أكثر سعة كما تكون عملية القياس نسبية وليست موضوعية، يتميز التكوين باندماج التعليم وما يتطلبه مع التعلم وما يستدعيه مع التقييم وما يقتضيه، كل ذلك يندمج في مركب واحد ويحدث التقييم عبر ممارسة مندمجة، والتقييم مقياسي يقارن النتائج بمقاييس النجاح ويميل إلى الكمية أكثر منه إلى الكيفية.

* يقوم التكوين على انتقاء المحتويات التي تمثل وسائل وسبل للوصول إلى الكفاءات وليست أهدافا مطلوبة لذاتها كما في المقاربات الأخرى خاصة مقاربة التكوين بالمحتويات، يبحث التكوين دوما عن اندماج الكفاءات ويُقاس أساسا بدرجة التحكم في الكفاءات وفي استراتيجيات التعلم، وهي استراتيجيات تضطلع بها مجموعة من المهام والصلاحيات مرتبطة بالمكون وبالمتكوّن وبظروف التكوين من خلال ارتباط مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات والمواقف والاتجاهات مع بعضها البعض، يؤدي اكتسابها بمستوى ما إلى التأثير في النتائج المتوقعة من كافة الأطراف المعنية بالعملية التكوينية–التكونية ومن ثم فإنّ بيداغوجيا الكفاءات تشمل مجمل السلوك المتعلق بعمليتي التعليم والتعلم التي يتطلب إنجازها أداء عمليا ويشمل المعرفة وكافة المهارات وسائر الاتجاهات المرتبطة بالكفاءة.

* تستمد التربية القائمة على الكفاءات مبررات وجودها من أسس فكرية وعلمية وعملية وفلسفية واجتماعية كثيرة، حالّة في الحضارة الحديثة والمعاصرة، أفرزها التقدم العلمي والتكنولوجي، وهو ميزة عصرنا، وأنتجتها التغيرات المستمرة التي عرفتها الحياة الاجتماعية في جميع مناحيها.

* ومن هذه الأسس ما يتصل بالجانب الفكري، متمثلا في سيطرة التفكير الوضعي العلمي، والاستناد إلى مقومات الروح العلمية، في كل مشروع اجتماعي، بما في ذلك المشروع التربوي والأنشطة التعليمية، مع الارتكاز على معطيات البحوث والدراسات العلمية، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة مجال علم النفس وعلوم التربية، مثلما توصل إليه المختصون في التعليمية، وفي سيكولوجية النمو، وفي سيكولوجية الدوافع، ونظريات علمية عديدة في علم الاجتماع وعلوم اللغة وغيرها.

ومنها ما يتعلق بالتقنية أو التكنولوجيا التي تعكس قيام الآلة مقام الإنسان، وتحكّم الإنسان في الطبيعة، وسيطرته عليها، وغزو التقنية كلّ جوانب الحياة، وحضورها بقوة كبيرة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان كإنسان في هذا الكون.

* وبعضها يتصل بالفلسفة وبنظرية المعرفة، مثل الفلسفة البراغماتية أو العملية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة الواقعية، وطرحت الإشكاليات التالية: ماذا نعلّم؟ ومن نعلّم؟ وكيف نعلّم؟ ولماذا نعلّم؟ ...الخ من التساؤلات التي تطرح في مجال التربية والتعليم، على منوال إشكاليات نظرية المعرفة، ماذا نعرف؟ وكيف نعرف؟ ولماذا نعرف؟ ومن أين نعرف؟ ...الخ.

* وبعضها الآخر يرتبط أساسا بالتحول الاجتماعي، وبالنظم والأبنية الاجتماعية التي أنتجها البناء الحضاري الحديث والمعاصر، مثل الديمقراطية، التنظيم الاقتصادي الليبرالي، والعولمة وغيرها من المفاهيم والأنساق والمنظومات التي تعكس طبيعة التفكير والشعور والسلوك في المرحلة الراهنة، وتعكس توجهاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والأيديولوجية في حياة الإنسان عامة، وفي الميدان التربوي والتعليمي بصفة خاصة.

* في كل الحالات ترفض فلسفة التربية الحديثة بناء استراتيجيات التعلم وتأسيس المناهج التعليمية ومقاربات التعليم والتكوين على العنف بكافة أشكاله، "فالعنف يتميز بالاتساع والشمولية وذلك بالقياس إلى مفهوم العقوبة التربوية التي تشير إلى الفعل السلبي الذي يوقعه المربي على الطفل كالضرب والحرمان والتهديد وذلك بهدف منع الطفل من ممارسة فعالية سلوكية أو تربوية محددة..."4.

*ومادام "لكل إنسان يولد في هذا العالم حقّ طبيعي في التربية"5 ويقول عالم التربية ج. دولاكروا:"من طبيعة الإنسان يُعلّم"6 والتربية من القديم حتى الآن تتصف بالفوضوية في حين وتتصف بالتسلط والاستبداد في أحيان أخرى، "إنّ تربية فوضوية وتربية متسلطة تخطئان الهدف الذي يقوم في أن تخوّل الذي تربيه أن يكون عضوا راشدا في الإنسانية: الأولى لأنها تجمد الولد في طفولته، والثانية لأنها تخلعه عنها بوسائل توشك عوضا عن أن تحرره، أن تجعل منه قاصرا إلى الأبد"7.

3- الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

تمثل الأسس الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي تقوم عليها التربية المعاصرة فلسفة هذه التربية وفلسفة التعليم بجميع أهدافه ومراحله ومناهجه، ولما كانت بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات واحدة من أساليب التربية والتعليم ، فهي تقوم على فلسفة التربية المعاصرة، هذه الفلسفة نتناولها من خلال الأسس الآتية:

أ- الأساس البراغماتي التقدمي:

* البراغماتية كفلسفة وكمنظور إلى الحياة والإنسان والكون تقوم على المبدأ الذي يقول: "نحن نعيش في دينامية ونفسية وكل شيء يؤدي إلى تغيّرات في هذه الدنيا، فلهذا الشيء وجود حقيقي...فالقوة شيء له وجود حقيقي،

وهذا الاصطلاح أو اللفظة "قوة" لها معنى ومدلول ولمدلولها وجود حقيقي، ومعناها إنما هو في هذه الآثار التي تخلّفها فيما نشاهد في الموجودات حولنا".8

* ترجع أصول الفلسفة البراغماتية إلى كتابات هيريقليتيس (535–475 ق.م) المفكر اليوناني، وكونتليان (35م–95م) الخطيب الروماني، وتشارلز بيرس ووليم جيمس (1840–1910م). تسمى البراغماتية بالأداتية والذرائعية والنفعية والعملية، أفرزت الفلسفة البراغماتية لاحقاً الفلسفة التقدمية، وهي مدرسة إصلاحية تؤكد على دور المدرسة في أن تكون مرآة مصغرة تعكس البيئة، لأنها يجب أن تعكس أنشطة الحياة خارج أسوار المدرسة، في منظومة ديناميكية متكاملة متجانسة.

* ربطت هذه الفلسفة التربية بخدمة المجتمع مع إعطاء المتعلم قدرا كبيرا من الحرية في اختيار ممارساته. رسّخ جون ديوى معالم هذه النظرية، ودفع بها إلى عالم الشهرة والأضواء، حتى غدت من أكثر المدارس الفلسفية انتشاراً في العالم الغربي والعربي، وقام العديد من المفكرين والباحثين المحدثين والمعاصرين ببذل جهودٍ علمية وعملية كبيرة لنشر هذه الفلسفة في سائر أرجاء الوطن العربي وفي غيره.

* تقوم الفلسفة البراغماتية على فكرة هي أنّ الإنسان كائن بشري متميز عن غيره من المخلوقات بفكره وأخلاقه ومعارفه وأعماله، وأساس الفكر والأخلاق والمعرفة والأعمال عند الإنسان هو المنفعة لا غير. وأيّ فكرة نظرية أو معرفة أو سلوك لا يجلب لصاحبه منفعة مادية ملموسة فهو من قبيل العبث ولا قيمة له، ومعيار نجاح الأفكار والأعمال هو ما تجلبه من منافع وفوائد عملية حسية ، أما مقياس الفشل في ذلك هو ما ينتج عن الأفكار والأعمال من ضرر وهلاك. فالخير في الفكرة وفي الفعل منفعة تُجلب، والشر في الفكرة وفي الفعل ضرر يُدفع.

* أما المدرسة التقدمية فتركز على مفهوم الخبرة، والممارسة، وخطوات التفكير العلمي، القائمة على مهارة حل المشكلات، وخدمة المجتمع الديمقراطي، وتبني مبدأ المشاريع كوسيلة من وسائل التعلم. وتؤكد أيضاً على ضرورة تجاوز الماضي، والمتعلم أحوج ما يكون إلى ثقافة اليوم والغد، يأخذ منها على قدر حاجته للحياة الفاعلة المفعمة بالخبرات الناجحة.

* لا شك أن هذه المدرسة قامت بثورة فكرية تاريخية ضد المدارس التقليدية التي اهتمت بالمعلومات وقللت من شأن المهارات. لا تؤمن هذه المدرسة بثبات القيّم، بل الأخلاق نسبية تتحدد وفق قناعات المجتمع، فالقيّم تتفاوت حقيقتها حسب وضع وزمن المجتمع وقناعات الفرد. من هنا فلا حاجة كبيرة للدين، والموضوعات نسبية في المناهج والأنشطة التعليمية، والطريق لكسب المعرفة يكون بالممارسة الحسية ولا يتحقق بالمدارسة التأملية.

* مهّدت الفلسفة البراغماتية للتربية التقدمية ويعتبرها البعض التطبيق التربوي لها. ظهرت هذه المدرسة في أمريكا في بداية القرن العشرين وأبرز روادها هو الفيلسوف والمربي الشهير: جون ديوي. نشطت الحركة التقدمية واكتسحت الساحة التربوية الأمريكية في الفترة ما بين 1920–1945م. دعت هذه الحركة الضاغطة إلى دعم العملية التعليمية بمزيد من الجهود الإنسانية والطاقات المتخصصة، والإمكانات المتاحة. من الواضح أن الحركة التقدمية تجاوزت الجدل الفلسفي النظري، وأنزلت الفلسفة من برج الجدل العالي إلى واقع الناس الفعلي. لفترة

طويلة كانت الفلسفة تائهة في دهاليز المثاليات ولم تر نور العمل الإجرائي إلا قليلاً، وكثيرا ما كانت الأفكار تحتقن ثم تختنق في عروق الفلاسفة، لأنها تغذّت بالنظريات من دون أن تعرف طريقها إلى عالم التجارب.

* جاءت المدرسة التقدمية كثورة عارمة على سلبيات النظام التعليمي التقليدي العقيم – حسب البراغماتيين التقدميين– الذي يقوم على التمحور حول المعلم والكتاب المقرر وطرائق التعليم الجامدة. أكدت المدرسة التقدمية في بناء المناهج التربوية التعليمية على القواعد التالية:

1– الخبرة المباشرة مع البيئة المحيطة أفضل مناخ للتعلم والتعليم والتكوين والتدريب.

2– التعلم الفعّال ينتج من خبرات تعلُّمية تعليمية ممتعة قائمة على مبدأ الإبداع وحل المشكلات.

3– الاعتماد على الكتاب المدرسي والمنهج والتقوقع في إطارهما لا يناسب المتعلمين، إذ أن التعلم الجيّد يجب أن يقوم على أساس مبدأ الحرية والمرونة والخبرة والشمول.

4– المعلم كالموجه الإداري، الذي يتيح ويوفر الأجواء المناسبة للتعليم والتعلم، من خلال طرح الأسئلة وتوجيه اهتمامات المتعلمين إلى الميادين الإنتاجية.

5 – مراعاة الفروق الفردية لكل متعلم بحيث يتعلم الطالب كيف يسأل عن البيئة المحيطة به ويستفيد منها وهذه من أهم المهارات الحياتية.

6– المدرسة عليها أن لا تنحصر في نفسها، وعليها أن لا تنعزل عن المحيط الاجتماعي الخارجي، فبعض رواد المدرسة التقدمية ذهب إلى أبعد من أطروحات جون ديوي حيث اقترحوا أن تكون جميع البرامج الدراسية من المواد التي يريد المتعلم دراستها ويرغب في تعلمها من محيط المدرسة، ومن الواضح أن هذا التوجه الجديد تعرض لانتقادات كثيرة.

7– جميع العلوم والقيّم نسبية متغيرة والمدارس يجب أن تركز على أسلوب حل المشكلات وأن تقوم بتزويد المتعلم بالمهارات التي تساعده على التغيير لا المعلومات التي قد تتغير في المستقبل.

ب– الأساس الوجودي:

– تؤمن الفلسفة الوجودية بالحرية الإنسانية المطلقة في الحياة، وهي بالتالي ثورة حقيقية متواصلة على كل القيم المتوارثة، وجميع الفلسفات السابقة.

– الوجودية رؤية فلسفية للوجود الإنساني، ظهرت في أوربا – عقب الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) – في ألمانيا أولاً ثم في فرنسا.

– لا شك في أن الوجودية كنظرية وتطبيق ليست حركة جديدة بل جذورها في هذا المضمار ضارب في القدم، وعندما تحررت أوربا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر خواطره الخطيرة، فاستغل البعض أجواء الحرية لنسف كل الحدود الدينية وجميع السدود المجتمعية.

– تنقسم هذه المدرسة إلى قسمين: القسم الديني المؤمن بالنصرانية، والقسم الملحد. القاسم المشترك بين القسمين أنهما يحاولان فلسفياً بيان ماهية الوجود الإنساني. الوجودية الملحدة هي المعروفة والأكثر شهرة في الثقافة العربية .

– تلغي هذه الفلسفة خصوصيات الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر بمعطيات المجتمع ولا يمكن أن يتغافل عن محيطه الذي يعيش فيه، كما أن النظرة الوجودية تحرم الإنسان من الصلة الروحية بخالقه، فلا تعطي أي وزن للمضامين الدينية.

– يقوم هذا المذهب الذي نبت في أوربا على فكرة أساسية تؤكد على أن الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة ، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته، ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر، دون ارتباط بخالق أو بقيّم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيّم التي تنظم حياته.

– ترجع بذور مذهب الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركاجارد "1813–1855م"، وقد نمّى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام 1889م، وكارل يسبرز المولود عام 1883م. وقد أكد هؤلاء الفلاسفة جميعا على أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات.

–يعتبر الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر (1905 – 1980 م) أكبر منظر لهذه المدرسة، التي لا تقيم وزناً للدين ولا للقيّم الثابتة. انتشرت أفكاره في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة في ميدان القصة والشعر. من أفكار هذه النزعة التحرر التام من أنظمة المجتمعات، الدعوة العلنية للإباحية الجنسية، تسفيه الأديان، الاستهتار بالمبادئ العامة، تقديس الإنسان، قمع الحس الجماعي، ونبذ مكارم الأخلاق.

– تظهر الملامح التربوية الرئيسية في الفلسفة الوجودية في النقاط التالية:

1– تكون الفلسفة أكثر فائدة إذا بنيت على الحقيقة الإنسانية ، هذا ما يراه جان بول سارتر، فالمعرفة الحدسية أساس الفلسفة الكلية.

2– الإنسان هو الغاية في الحياة، الحياة رحلة يبحث فيها الإنسان عن إجابة للأسئلة المحيّرة كي يسعد ولا يستبد به الشك.

3– التربية بكل مناهجها التعليمية وأنشطتها الفصلية يجب أن تحقق ذاتية الفرد لا أهداف المجتمع.

4 – التحرر من الأخلاق أساس السلوك البشري برمته.

5– تشجيع الشك في كل المسلمات، وتمجيد العقل، والترحيب بالحوار بلا حدود.

6– لا تعترف الوجودية بالحق المطلق والفضائل الأخلاقية بل هي العدو اللّدود للعقل وللوجود وللعلم وللمعرفة.

7– تنكر الوجودية على المعلم استخدام العقاب أو التوبيخ أو الإذلال، حتى لو كان الطالب مخطئاً، لأنّ أهمية التربية ليست بحجم المادة التي يتعلمونها بل بمقدار أو بكيفية الاستفادة مما يتعلمون، والمتعلم هو محور الحركة التعليمية التعلمية وجميع الخبرات التثقيفية والتكوينية.

8– المدرسة في رأي الفلاسفة الوجوديين مسئولة تماما عن فتح المجال أمام جميع التلاميذ للبحث والفحص والتدقيق في أي مجال يرغبونه.

9–الجانب العملي المستمد من الواقع المادي هو الطريق المؤدي إلى صياغة الشخصية الإنسانية، المؤمنة بذاتها الفردية المستقلة عن غيرها.

10- تهاجم الوجودية التعليم المهني والتخصصي، فهو يقيّد مستقبل الإنسان، لأنه يقلل فرص الاختيار للعمل، وهذا يخدم المجتمع لا الفرد، والأصل الفرد لا المجتمع.

ج- الأساس الواقعي:

- ترى المدرسة الواقعية ورائدها الأول أرسطو (384ق.م-322ق.م) أنّ العناية بالحواس أهم من التركيز على الخيال وتتفق مع المثالية في كون الفضائل ثابتة.

- أعلت المدرسة الواقعية من شأن الحواس، وأنزلت الفلسفة من سماء التأمل والُمثل إلى عالم الواقع والحواس، وبذلك اتسعت ساحة المناهج التعليمية، لأنها بدأت تشمل العلوم الفلكية والرياضية، علاوة على العلوم الأدبية التقليدية.

- أيَّد جون لوك (1632-1704م) الفيلسوف الإنجليزي المدرسة الواقعية، لأنها أعطت الفكر النقدي مجالا واسعا، ولأنها ترى أن التجربة والواقع والحواس -لا المثال والتجريد- أساس المعرفة، وأسلم طريق للحصول على العلم، والبحث فيه، والاستفادة منه.

- تقوم التربية ويتأسس التعليم في المنظور الاتجاه الواقعي على المبادئ التالية:

1- الطفل صفحة بيضاء تستقي سطورها من مداد تجارب الواقع، فجاءت هذه الفلسفة لتؤكد على ضرورة دراسة الظواهر الطبيعية إلى جانب العناية بالرياضيات وسائر العلوم.

2- يُعد القس جون أموس كومينوس (1592-1670م) من رواد المدرسة الواقعية الحسية وهو فيلسوف تشيكي. كان كومينوس أول من ألف كتاباً مصوراً للأطفال سماه "عالم المحسوسات المصورة"، ولم يقتصر اهتمامه على الأطفال فقط إنما شمل به الأمهات، حيث أقام لهن مدرسة متخصصة لتثقيفهن.

3- قدَّم كومينوس عمله المنهجي المبتكر في عالم الطفل عندما ألَّف كتابا عن عالم المحسوسات المصورة ليجعل الصورة من أهم أساليب تعليم الطفل في المدارس ، مع التركيز على تعليم الطفل حقائق الحياة وقد استخدم في كتابه طريقة عرض الأشياء بدلاً من الكلمات والرموز وذلك بعرض الأشياء نفسها مصورة.

3- ويعتبر الباحثون القس كومينوس أول مؤسس للتربية الحديثة الخاصة بالطفل. وإلى هذا اليوم يعتز الأوربيون بهذا العَالم، لأنه اعتنى بالتربية العقلية والأخلاقية على حد سواء، علاوة على أنه وضع منهجه الحسي في التدريس، فأثَّر لعدة قرون في الفكر التربوي العالمي. رغم أن حياته المضطربة كانت مليئة بالمحن والاضطهاد إلا أنه أسعد أطفال العالم بوسائله التعليمية.

4- رسّخت الواقعية منهج التجريب والنقد العلمي والشك المنهجي، وشجعت المتعلم على ملاحظة الظواهر الطبيعية بصورة منتظمة، ونادت بإعمال العقل في التحليل، واستغلال الحواس للتوصل للحقائق اليقينية.

5- عكس الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596 - 1650م) جانباً من جوانب هذا المنهج في مقولته الشهيرة "أنا أفكر، وإذن فأنا موجود".

6- لا يمكن الوصول للحقائق الدينية والدنيوية إلا من خلال منهج الشك. المنهج الشكي هو الطريق الصحيح لمعرفة وجود الله، ولمعرفة الحياة، ولمعرفة الحقيقة.

7 لم تفرق هذه المدرسة بين عالم المثل والروح وبين عالم الجسد والواقع، ولم تتوسع في التأمل العقلي كما فعل أفلاطون.

8- من محامد الواقعية كحركة فكرية أنها اهتمت بالتربية المهنية، ودعت إلى ضرورة ربط المناهج التعليمية بالمجريات اليومية، والحاجيات الحياتية الفعلية.

د- الأساس العلمي والتكنولوجي:

- العلم أخص من المعرفة، وهو جزء منها، تمثله سائر البحوث والدراسات المنظمة، القائمة على أسس وقواعد محددة، تعرف بمقومات الروح العلمية، وتتبع مناهج وأساليب مضبوطة تسمى مناهج البحث العلمي، كما تستخدم أدوات ووسائل فكرية ومادية، هي وسائل وأدوات البحث العلمي، نتائجها نسبية تتميز بالدقة والتعميم ، وهي عبارة عن قوانين وحقائق علمية.

- العلم مركب من عناصر، تجمع بينها خصائص تطبع هذا المركب وتطبع كل عنصر من عناصره، هي خصائص الروح العلمية، بحيث لا تخلو منها شخصية علمية أو دراسة علمية أو منهج علمي أو قانون من القوانين العلمية ، وأي عمل في أي ميدان من ميادين الحياة لا يتضمن هذه الخصائص ولا يقوم على مقومات الروح العلمية فهولا يمتّ بصلة بالعلم والعلماء.

- إنّ مقومات الروح العلمية تعكس حدود ودرجة الإجماع والاتفاق بين الناس ، كما تزيل التباين والاختلاف الذي ينتج عن تعدد واختلاف الآراء والأهواء والمعتقدات والانتماءات الدينية والطائفية والعرقية واللّغوية وغيرها، فالحقيقة العلمية ثابتة نسبيا ، عامة ، دقيقة، وموضوعية تفرض نفسها على جميع العقول، وتتجاوز حدود الزمان والمكان ، لأنها تقوم على مبادئ تضمن لها ذلك، مثل مبدأ الحتمية و مبدأ النسبية ومبدأ الموضوعية وغيره.

- قبل النهضة الفكرية والعلمية الحديثة كان التفكير الإنساني مطبوعا بالنزعة الفلسفية في نظرته إلى الأمور، وفي مناهجه واتجاهاته، لكن الاتجاهات الفلسفية الحديثة كالاتجاه الوضعي وتفرعاته والثورة العلمية والتكنولوجية والتحولات الاجتماعية في بداية العصر الحديث كل هذا أفرز أسسا ومناهج وتوجهات جديدة في التفكير، تكللت هذه الأوضاع الجديدة بسيادة التفكير العلمي، وسيطرة الطابع الوضعي المنطقي على حياة الإنسان، وعلى نشاطاته النظرية والعملية، فصارت المعرفة وطرقها وحياة الإنسان برمتها وحضارته وثقافته ذات طابع علمي بحت.

- تمثل التربية ظاهرة ثقافية، ووسيلة لنقل التراث والعلوم والثقافة بجميع مظاهرها بما في ذلك التقنية إلى الفرد، ومن جهة إلى أخرى. وترتكز التربية ويرتكز التعليم بموجب التقدم العلمي والتكنولوجي على مايلي :

1- يقوم بناء المناهج التعليمية ومخططات التكوين والنظم التربوية والمنظومة التربوية بشكل عام على معايير علمية بحتة.

2- توظيف وتفعيل النظريات والقوانين التي أنجبتها البحوث والدراسات العلمية لظاهرتي التعلم والتعليم (طرق ونظريات واستراتيجيات التعلم) مثل النظرية الترابطية والنظرية البنيوية، ومثل إستراتيجية ما وراء المعرفة وإستراتيجية التعلم التعاوني.

3- تكوين المتعلم تكوينا علميا يتماشى والكشوف العلمية الهائلة والمتفجرة باستمرار.

4- الاستفادة من كل الخبرات العلمية والتجارب الميدانية، ونتائج الأبحاث والدراسات، في علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية، في التخطيط للتربية والتعليم، وفي عمليات التنفيذ والتسيير والمراقبة والمتابعة والتوجيه والتقويم و غيرها.

5- تمكين المعلم والمتعلم من استخدام منتجات التكنولوجيا المتطورة نظريا وعمليا، في عمليتي التعليم والتعلم، وعلى رأسها تقنيات الإعلام الآلي، وشبكة الإنترنيت في إطار تكنولوجيا الاتصال.

6- توظيف العلوم والتكنولوجيات المتطورة باستمرار، على أنّها وسائل وأدوات لا غير، وليست غايات لذاتها، فالغاية القصوى هي الحصول على كفاءات تضمن متطلبات وحاجات الفرد والمجتمع المادية والفكرية، وتحقق لهما الآمال والتطلعات.

هـ- الأساس الديمقراطي:

- الديمقراطية لفظة يونانية ، مركبة من مقطعين هما ديموس وكراتوس بمعنى حكم الشعب في اللغة العربية. ارتبط مفهوم الديمقراطية كتنظيم سياسي واجتماعي واضح المعالم ومحدد القيم لدى شعوب أوروبا في بداية العصر الحديث بالثورات التي خاضتها ضد سلطة رجال الدين وحكم الكنيسة وبالانفجار العلمي والتقدم التكنولوجي وبالرأسمالية كقوة اقتصادية ونظام سياسي ، فشهدت مع ذلك أوروبا تحولات كبرى وجذرية، فكرية وعلمية وتكنولوجية وسياسية واقتصادية واجتماعية سمّاها روادها بالنهضة الحديثة، أو الحضارة الحديثة.
- للنهضة الأوروبية الحديثة مظاهر عديدة، ومظهرها السياسي هو الديمقراطية، كفكر وكثقافة وكسلوك وممارسة، تتأسس على تمجيد وممارسة الحرية كقيمة إنسانية، في الحياة السياسية بجميع مجالاتها، في التفكير، وفي الرأي والتعبير، وفي الصحافة والإعلام، وفي التديّن والتحزّب، وفي التنافس على الحكم ، وفي الانتخاب ، وقبول الآخر والإصغاء إليه، والتداول على السلطة، والمعارضة بالوسائل السلمية.
- أصبحت الديمقراطية في عصرنا شعارا يتغنى به الكثير من الناس، في السلطة وخارجها، وعنوانا للرفاهية والتقدم والعدالة، ومطلبا تطالب به الشعوب والهيئات والمنظمات الوطنية والإقليمية والأممية، وتسعى إلى تحقيقه كافة الأنظمة والحكومات في كافة أرجاء المعمورة.
- الديمقراطية كمنظومة سياسية تستند على قيّم ومبادئ فكرية وفلسفية، تتضمن آليات التنظيم والحكم والتسيير والتوجيه، وتشمل كافة مناحي الحياة البشرية الفردية والاجتماعية، وأهم أدوات تمكين هذه الآليات والقيم في الوجود الإنساني وغرسها في الفرد وفي المجتمع التربية والتعليم والتثقيف، وفلسفة التربية في إطار الحياة الديمقراطية تكون روحها من روح الديمقراطية، وتقوم هذه الفلسفة على الأسس التالية:

1- للفرد في المجتمع حقوق اجتماعية، سياسية ومدنية، أهمّها حق التربية والتعليم والتعلم، في ظروف مناسبة.

2- تمجيد وممارسة حق الحرية في ميدان التربية والتعليم، في حدود المصالح الفكرية والدينية والعرقية للأفراد والجماعات.

3- إتاحة الفرص للجميع لممارسة الحقوق الاجتماعية، التربوية والتعليمية، مع مراعاة الفروق الفردية.

4- بناء أساليب التربية ومناهج التعليم واستراتيجيات التعلم على قيم الديمقراطية، الحرية، العدالة، تكافؤ الفرص، الفروق الفردية، اللاّإكراه واللاّجبر، البراغماتية وغيرها.

5- جعل المتعلم محور العملية التربوية، وتأسيس النشاط المدرسي على نمو الأطفال التدريجي والمتوازن والمتكامل، وتوظيف المدرسة والمعلم والمنهاج لخدمة ذلك.

6- المدرسة جزء من المجتمع، وهي الحياة الاجتماعية نفسُها، تعكسها وتعالج مشاكلها، وتُطورها.

7- تقديم محتويات التربية والتعليم على أنّها وسائل لا غايات، ومجردة من الانتماءات السياسية أو العرقية أو الدينية.

8- العناية بتربية الشخصية تربية شاملة، عقلية ونفسية وبدنية وأخلاقية ووجدانية واجتماعية، بغرض بناء إنسان متوازن ومتكامل.

9- إعداد إنسان مشبع بقيم ومبادئ الديمقراطية، في تفكيره وشعوره وثقافته ونمط عيشه، وفي صلته مع الآخرين.

10- عولمة النموذج التربوي الديمقراطي، وتعميمه بأساليب ووسائل متعددة، أهمها بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

و- الأساس اللّيبرالي الاقتصادي:

- ارتبطت الرأسمالية كتنظيم اقتصادي، وكإيديولوجية سياسية وفكرية، بالتحوّلات الكبرى، الفكرية والاجتماعية، وبالتقدم العلمي والتكنولوجي، الذي شهده مطلع القرن الثامن عشر.
- التحوّلات الكبرى التي جرت في أوروبا الحديثة أفرزت أوضاعا اقتصادية جديدة، كان للصناعة والتجارة ورأس المال فيها الدور الأساسي في تحريك دواليب الحياة الاقتصادية، أدّى ذلك إلى تجمع رؤوس الأموال بيد الطبقة البرجوازية، المالكة للإنتاج ولوسائل الإنتاج، والمديرة لعلاقاته ولعناصر الاقتصاد وقطاعاته، مما سمح لها بالتنظير لحياة اقتصادية واجتماعية جديدة، حينها وُضعت الأسس والمبادئ الأولى للتنظيم الاقتصادي الليبرالي.
- تقوم الليبرالية كنظام اقتصادي على قوانين الطبيعة الفيزيقية، التي تؤكد على إبعاد الدولة والأخلاق والدين عن التدخل في الحياة الاقتصادية، الملكية الفردية للإنتاج ووسائله، الحرية الاقتصادية تشمل كافة ميادين الحياة الاقتصادية العمل والإنتاج والمنافسة والتسويق، وقانون العرض والطلب يحدد أجور العمال وينظم أسعار السلع في السوق.
- ارتبطت أسس النظام الليبرالي الاقتصادي منذ قيامها ولازالت ترتبط بعدة مفاهيم واتجاهات فكرية واجتماعية، قلبت الأوضاع في أوروبا الحديثة، تمثّلت في الاتجاه المادي والاتجاه العلماني والنزعة الوضعية العلمية والفلسفة الواقعية والفلسفة الوجودية والفلسفة البراغماتية، الأمر الذي جعل نفوذ الاقتصاد الحر يقوى والإنتاج فيه ينمو ويزدهر رغم ما أفرزه من أثار سلبية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا.
- ارتبط الاقتصاد الليبرالي بالحياة السياسية عند الديموقراطية كخيار فكري وأيديولوجي وكممارسة للسلطة والحكم، وارتبط ذلك بمفهوم الحضارة وبالتربية في المجتمع، و"إذا كانت أزمة التربية هي أزمة الحضارة بكاملها، فيبقى أنّ التربية نفسها هي مسئولة كل المسئولية عن تلك الأزمة وأن من شأن الحل أن يتأتى منها إلى حد كبير. لا

نستطيع أن نتوقع ذلك الحل، بيد أنه يحق لنا أن نثبت أن على التربية في مجتمع يزعم أنه ديموقراطي أن تكون ديموقراطية".9

- فلسفة التربية والتعليم في المجتمعات الرأسمالية تقوم على أسس اقتضتها الحياة الاقتصادية، بعناصرها وقطاعاتها وعلاقاتها وتنظيمها، وأهم هذه الأسس ما يلي:

1- واقعية التربية والتعليم.
2- براغماتية التربية والتعليم.
3- مادية التربية والتكوين.
4- علمية و تكنولوجية التربية والتكوين.
5- علمانية التربية والتكوين.
6- عولمة التربية والتكوين.
7- تكوين الناشئة على قيم ومبادئ الاقتصاد الحر، كتمجيد العمل والإنتاج والملكية الفردية والمنافسة الحرة وغيرها.
8- توظيف التربية والمدرسة المجتمع والأسرة لخدمة الحياة الاقتصادية في ظل الاقتصاد الرأسمالي الحر.
9- بناء كفاءات تتماشى وحاجيات ومتطلبات اقتصاد السوق العالمي.
10- عولمة التنظيم الاقتصادي الليبرالي بوسائل متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية، ومن هذه الوسائل بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

ي- أساس العولمة:

- العولمة لغة تعني جعل العالم عالما واحدا، موجها توجيها واحدا، في إطار حضارة واحدة، لذلك تسمى الكونية أو الكوكبة، ولقد أجاز مجمع اللّغة العربية بالقاهرة استعمال لفظة عولمة بهذا المعنى.
- يصعب الوصول إلى تعريف دقيق يحدد ماهية العولمة، لأنها ماهية بصدد التشكل، وهي قيد الوصف والتحليل والتفسير، ولأنّها موضع نقاش وجدال، وفرضيات وإدانات وإشادات، بين مؤيّديها والمناهضين لها.
- تمثل العولمة مجموعة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، تهدف إلى إدخال جميع الدول وكافة المجتمعات فيها وتبنّيها والعمل بها، والعيش في إطارها. وتتميز العولمة بمجموعة من العلاقات والعوامل والقوى ، تتحرك بسهولة على المستوى الكوني، متجاوزة الحدود الجغرافية للدول، ويصعب السيطرة عليها، وتساندها بيئة قانونية وطنية ودولية، كما تستخدم آليات متعددة، منتجة لآثار ونتائج تتعدى نطاق الدولة الوطنية إلى المستوى العالمي، لتربط العالم في شكل كيان واحد متشابك الأطراف. يعني "تعميم استعمال نمط حضاري وأيديولوجي وثقافي واقتصادي وسياسي على كافة شعوب العالم".10
- العولمة كمفهوم وكاتجاه قام بعد زوال القطبية الثنائية، وسيادة القطبية الأحادية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، لذا ارتبط مفهوم العولمة بالنظام الدولي الجديد المفروض على العالم أجمع من قبل قادة العالم المتقدم، وفق مصالحهم وآمالهم وتطلعاتهم، وعلى حساب مصالح وآمال المجتمعات والدول الأخرى ، فأخذ تصور العولمة

عدة مفاهيم لدى معارضيها، منها الهيمنة ، الاستعمار ، الاستبداد والتسلط ، الأمركة وغيرها. ويصفها أحد المفكرين في العالم العربي والإسلامي "عولمة الزمان، كونية المكان، رمزية العمل، عمال المعرفة، وحدة السوق، التجارة الالكترونية، القيمة المضافة، الطريق السريع للإعلام، الثورة العددية، الطوائف السبرانية، المدنية العالمية، سوق النظر، الميدياء، عولمة الأنا، اختراق الهويات، تداخل الكوني المحلي".11

- للعولمة أهداف وآثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تعود بالنفع على القوى المهيمنة، و تعود بالضرر على الشعوب الضعيفة، وتستخدم أساليب و وسائل متعددة، سياسية واقتصادية، وطنية وإقليمية وأممية، كما تستخدم أخرى علمية وتكنولوجية، "إن عالمنا غدا يعيش ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية، هي تفتت وتفكك المرجعيات والمنابع المنتجة للدلالة".12
- للعولمة أسس ومميزات تتحدد بها، أهمها ما يلي:

1- فرض نموذج إنساني عالمي فردي واجتماعي من قبل القوى المهيمنة على كافة مجتمعات ودول العالم(نمذجة العالم ونمطيته).

2- تبني كافة الشعوب والدول منهج الإصلاح، في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والتربوية، وفق النموذج العولمي المفروض.

3- إعمال العقل وتوظيف العلم في كافة ميادين حياة الإنسان، دون الاستناد إلى غيرهما.

4- استخدام التكنولوجيا المعاصرة ومنتجاتها في جميع جوانب حياة الإنسان وفي أعماله، بما يضمن الوصول إلى النموذج الإنساني العولمي.

5- براغماتية التفكير الإنساني وسائر أعماله ونشاطاته في الميدان الفردي والميدان الاجتماعي.

6- مادية تفكير الإنسان في نظرته إلى نفسه وإلى حياته وإلى الوجود ككل.

7- علمانية الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، وفصل ما هو ديني غيبي ميتافيزيقي عما هو واقعي دنيوي.

8- ديمقراطية الحياة السياسية والاجتماعية بالمعنى الليبرالي الغربي.

9- ليبرالية الحياة الاقتصادية تنظيما وإنتاجا وعلاقات، بالمعنى الغربي للاتجاه والتوجه.

10- عقلانية وعلمية وعلمانية ومادية وبراغماتية وتكنولوجية وديمقراطية وليبرالية الثقافة والتربية والتعليم، لبناء نموذج بشري معولم.

11- بناء وصياغة (بيداغوجيات) مناهج وأساليب واستراتيجيات التربية والتعليم والتعلم على أسس وقيم العولمة، ومنها بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

خاتمة:

- تمثل بيداغوجية المقاربة بالكفاءات الأسلوب التربوي والتعليمي الناتج عن التطور الحاصل في مجال التربية والتعليم في عصرنا، له أصول ومصادر فكرية وفلسفية واجتماعية، ويتحدد بمجموعة من المبادئ والقيم

والمناهج، كما يتطلب وسائل وأدوات متطورة، كما أفرز ويفرز آثارا ونتائج على الفرد والمجتمع، كل هذا في إطار الأسس التي تقوم عليها التربية المعاصرة وفلسفتها.

- لقد جرّب الإنسان المعاصر في العالم المتقدم عدة مقاربات، وثبت أنّ النقص والخلل حالّ في كل واحدة منها، لكن بدرجات متفاوتة، فمن أسلوب التلقين أو تبليغ المحتويات، إلى التعليم بالأهداف إلى المقاربة بالقدرات، إلى المقاربة بالكفاءات، وهذه الأخيرة تمثل في فلسفة التربية غاية في ذاتها، والحقيقة أن العمل التربوي في جميع عناصره نسبي ومتطور باستمرار، وكأنّ تاريخ البيداغوجيا انتهى وتوقف بحسب منظور "فوكو ياما".

- تتطلب بيداغوجية المقاربة بالكفاءات ثقافة علمية عالية، وفكرا اجتماعيا ينسجم مع نمط الحياة والظروف التي أنجبت هذه البيداغوجية، كما تحتاج إلى وسائل وأدوات تقنية في مقدمتها التحكم في المعلوماتية وفي وسائل وتقنيات الاتصال والإعلام والتثقيف المعاصرة وعلى رأسها شبكة الإنترنت، وهذا ما لم تتوفر عليه الدول النامية، مثل الجزائر وهي تدخل التدريس بالكفاءات في نظامها التربوي، حيث أثبتت العديد من الدراسات الميدانية أن شعوب العالم الثالث وبدرجات متفاوتة لا تتحكم في الثقافة العلمية ولا في تقنية الإعلام الآلي المطلوبة في أسلوب التدريس بالكفاءات، ولا تسيطر على تقنيات الاتصال، ولا تمتلك وسائله، وهذا يعيق بلوغ الأهداف المطلوبة من وراء المقاربة بالكفاءات.
- إن فلسفة التربية المعاصرة بمصادرها وقيّمها، وبالمناهج والإستراتيجيات التربوية المنبثقة عنها، تعكس توجّهات وإيديولوجيات قوى معينة، في العالم المتقدم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، متجاهلة التنوع الثقافي والفكري والديني والاجتماعي واللغوي وغيره، المتواجد في العالم ومتجاهلة خصوصية الدولة الوطنية والقومية وغيرها.
- تتميز فلسفة بيداغوجية المقاربة بالكفاءات بطابعها المادي العلماني البراغماتي الآني، الخالي من الحضور الأخلاقي والديني، وتأسيس أي فلسفة أو فكر أو ثقافة أو دين على غير مكارم الأخلاق، وعلى عدم مراعاة المطالب الروحية للفرد والمجتمع، تنتج عنه آثار ومظاهر سلبية، تعكسها معاناة الشعوب والأمم الحالية للظلم والاستبداد والحرب والفقر والحرمان والجهل والمرض، وهي آفات منتشرة في مختلف أنحاء المعمورة.
- يعتبر البعض أنّ بناء المناهج التربوية على المقاربة بالكفاءات في الجزائر مكسبا ثقافيا، وانتصارا للحضارة وللعلم وللديمقراطية، هذا في رأينا يكون مقبولا لو جاءت السلعة من إنتاجنا، لكنّها مستوردة، وظاهرة استيراد المنتجات العلمية والفكرية والمادية في أي مجتمع ليست عيبا، إلاّ أنّ الإنتاج المستورد يجلب معه أفكارا وقيما وعناصر هوية الجهة المصدّرة، ولا تنتقل مجردة من حضور ذات صاحبها فيها، فالذي يعيش بما ينتجه هو يحفظ كرامته وسيادته من الزوال.
- أقلّ ما يمكن قوله عن بيداغوجية المقاربة بالكفاءات ، أنّها أسلوب تربوي، من إنجاب الحضارة الراهنة، فيه القوة وفيه الضعف، ويكون أكثر ضعفا إن لم تتوفر شروطه ولوازمه النظرية والعملية والتقنية، ويصبح نقمة إن لم تراع فيه قيّم الأمة وهويتها ، لأنه يصبح شكلا من أشكال الهيمنة والتسلط والاستعمار. ما أحوجنا إلى تأهيل

حضاري يمكننا من إبداع الحضارة والحضارة لا تقوم من منتوجاتها، وأول هذه المنتوجات الفكر الحضاري، "فالحضارة فكر في مبدئها وفي مسارها وفي منتهاها، فكر نيّر ديني وفلسفي وعلمي وأخلاقي وأدبي، فكر نظري وعملي يؤثر في الفرد وفي المجتمع وفي الأمة وفي الكون، يستثمر الطاقة في الإنسان وفي الوجود ويحولها بما أودعه الله فيه من قدرة على الإبداع وبما ألهمه من تفرّد إلى عالم جديد بديع رائع في الجمال والبهاء ينضاف إلى الطبيعة".13 قال تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا".14

الهوامش:

1- قرآن كريم: سورة الجمعة، الآية 2.

2- ذكاء الحرّ:الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1984، ص 44.

3- جورج شهلا: الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، نقلا عن ذكاء الحرّ، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص 44-45.

4- وزارة التربية الوطنية، مديرية التكوين:تربية وعلم النفس، الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، سنة 2009، ص 46-47.

5- أوليفيه ربول: فلسفة التربية، ترجمة جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1978، ص 154.

6- المرجع السابق: ص 9.

7- المرجع السابق: ص 97.

8- يعقوب فام: الباغماتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 1985، ص 147.

9- أوليفيه ربول: فلسفة التربية، ص 123.

10- جيلالي بوبكر: العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقويم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2011، ص5.

11- علي حرب: حديث النهايات ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 2004، ص 196.

12- السيد ولد أباه: اتجاهات العولمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2001، ص133.

13- جيلالي بوبكر: بين الحضارة وفكرنا العربي المعاصر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2012، ص 268.
14- قرآن كريم: سورة الإسراء، الآية

مراجع مستند إليها:

أ- مراجع بالعربية:

1- لسان العرب. ابن منظور. دار المعارف. القاهرة.
2- معجم علوم التربية(مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك). عبد اللطيف الفارابي وآخرون. دار الخطابي للطباعة والنشر. الطبعة الأولى.1994.
3- المعجم الفلسفي. ج1 وج 2 . جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني. لبنان. 1982.
4- الموسوعة الفلسفية المختصرة. زكي نجيب محمود وآخرون. دار القلم. لبنان.
5- إستراتيجية التدريس والتعلم. جابر عبد الحميد. دار الفكر العربي. القاهرة. الطبعة الأولى. 1990.
6- اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس.كوجك، كوثر حسين. عالم الكتب. القاهرة. 1997.
7- تقييم التعليم، أسسه وتطبيقاته. حمدان محمد زيدان.دار العلم للملايين. لبنان. 1980.
8- شبكة الإنترنيت. مقالات، حول العولمة، الديمقراطية، العلمانية، المقاربة بالكفاءات.

ب- مراجع باللّغة الأجنبية:

1- Apprentissage et formation des adultes M.E.Nizet, J.PUF.Leducation.paris.1997.
2- Méthode de travail et stratégie d apprentissage du secondaire a l université.recherche.application.wolfs, J.L. DE BOEK PARIS BRUXELLES 1998.
3- Définir les objectifs de l éducation.Delandsheere, G. éd. PUF., Paris; 1980.
4-Didactique fonctionnelle, objectifs, stratégie, Évaluation.Minder